البلاغة والفصاحة / مناسبة الحال

في الحلقات الماضية تحدثت فيا لحلقة الأولى عن بيان معنى البلاغة والفصاحة بشكلٍ موجز وفي الحلقة الثانية كان الكلامُ في أسلوبٍ من أساليب البلاغة ومن أهم أساليب البلاغة العربية وهو أسلوب الكناية الكنايات بينت معنى الكناية وذكرت بعضاً من الأمثلة وأشرتُ إلى أنواع من الكنايات في كلام العرب مثل التعريض مثل الرمز الإشارة التلويح الإيماءة وغير ذلك ، اليوم أشير إلى نقطة أخرى في هذا السياق في بيان بعضٍ من المطالب من المعلومات التي تصبُّ في هذا المجرى في مجرى الأدب في مجرى البلاغةِ والفصاحة ، هناك ركنٌ مهم من أركان البلاغة في كلام العرب وفي كلام أي قومٍ من العرب أو من غير العرب ما يسمى بمناسبة الحالة ، مناسبة الحال هو جوهر البلاغة ، إذا أردنا أن نصف الكلام بالبلاغة أهم ركنٍ في الكلام البليغ أن يكون الكلام مناسباً للحال وهذا هو معنى الكلمة المشهورة القولة التي تُضرب مضرب الأمثال ليست مثلاً ولكنها تُضرب مضرب الأمثال ، هناك في الآداب العربية هناك كلمات هي أمثال وهناك كلمات تُضرب مضرب الأمثال ، وفارق بين الاثنين ، الأمثال هناك أحداث وقائع تقع وفي ضمن هذه الوقائع والأحداث تُطلق كلمة من الكلمات جملة من الجمل تختصر الحدث وهذه الكلمة تشيع وتنتشر فيُقال لهذه الكلمة لهذه الجملة مَثَل ولكن هناك كلمات تُضْرَبُ مضرب المثَل ليست مثلاً ، كلمة ذات دلالة مهمة تنتشر بين الناس ، من جملة الكلمات المنتشرة بين الناس والتي تُضرب مضرب المَثَل : **لكلِّ مقامٍ مقال** هذا هو المراد بمناسبة الحال ، لابُد أن يكون الكلامُ مناسباً للحال الذي أطلق فيه ذلك الكلام حتى يكون الكلام بليغاً وإلا ليس البلاغة هو تدبيج العبارات أو الإتيان بكلماتٍ فخمة قد لا تتناسب مع الشخص المخاطب وقد لا تتناسب مع المعنى الذي يُتحدث عنه ، لأن الكلام البليغ المراد من البلاغة الوصول ، أقول بلغتُ المكان الذي أريد الوصول إليه ، البلاغة هو هذا معناها ، الكلام البليغ هو الكلام الذي تصلُ معانيه ويصلُ فحواه إلى المتلقي هو هذا الكلام البليغ ، وليس الكلام البليغ أن يكونَ مدبجاً بعباراتٍ جميلة ومطرز بألفاظ تُصاغ بصياغةٍ معينة يظهرُ من خلالها الرنين والطنين من دون أن تُوصل المعنى إلى المتلقي ، لذلك البلاغة مسألة نسبية ولكل مقامٍ مقال ، في كل مقام من مقامٍ من المقامات نحتاجُ إلى الإطناب يعني إلى الإسهاب في الحديث ، الإطالة والتوسعة وفي مقامٍ من المقامات نحتاجُ إلى الإيجاز وإلى الاختصار وإلى الإقلال وفي كل مقامٍ من المقامات هناك نحوٌ من أنحاء الكلام أسلوب من أساليب الكلام

تتناسب مع ذلك المقام ، المراد من المقام ما هو ؟ المكان ، الزمان ، الأشخاص ، والظروف المحيطة بهذه الأشياء الثلاثة ، الحدث كيف يتكون ؟ الحدث يتكون في مكانٍ ما في زمانٍ ما من شخصٍ ما أو مجموعة أشخاص ، حركة شخصٍ ما في مكان ما في زمنٍ ما هي التي تشكل الحدث فبملاحظةِ الشخص والزمن والمكان وطبيعة الحركة التي تكون في ضمن هذه الأمور التي أشرتُ إليها هو هذا الذي يُقال له الحال فيقال بأن من شروط بل من أساس بل هو الركن الوثيق في البلاغة أن يكون الكلام مناسباً للحال ، مناسبة الحال هي أساسٌ من أسس البلاغة ومما جاء في أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أنَّ النبي ما كَلَّمَ الناس قط على قدر عقلهِ أو من أنهم عليهم السلام ما كلموا الناس قط على قدر عقولهم هم أي الأئمة وإنما كلموا الناس على قدر عقول الناس ، هذا هو أدق وأوضح معاني مناسبة الحال هذه البلاغة على أتم وجوهها لذلك علماء البيان علماء البلاغة وعلماء الفصاحة يقولون المتكلم البليغ هو بمثابة الطبيب الفاحص عن مرض المريض مَثَل يؤتى بهِ قطعاً الأمثال تُضرب ولا تُقاس فيها وجه مشابهة مقاربة من جانب وقد تكون فيه وجوه مباعدة من جوانب أخرى ، الطبيب المخلص في عملهِ والحاذق في عملهِ إذا أراد أن يشخص العلاج يشخص الدواء الناجع والنافع للمريض فلابد أن يدرس حالة المريض بدقة ، المتكلم البليغ إذا أراد أن يُوصل الكلام البليغ إلى المتلقي لابُدَّ أن يكون مُلِمَّاً بحال المتكلم حتى يأتي الكلام مناسباً للحال ، وكلما كان المتكلم عارفاً بالظروف وبالإحداثيات الموجودة وبالوقائع الموجودة جاء الكلامُ على أحسن صورةٍ من البلاغة ، وأتم صورة ستكون في كلام الأئمة لأنهم هم الأعرف والأدق في معرفة أحوال الناس ، ومن هنا نحنُ لا نستطيع أن نجد في كلام الأئمة درجة واحدة من البلاغة من الجهة اللفظية لكن من الجهة المعنوية من حيثُ مناسبة الحال كلام الأئمة في درجةٍ واحدة من البلاغة لسببٍ واحد وهو أنهم عالِمون بحقائق الأمور فسينطلقُ الكلامُ على هذا الأساس ، أنا وغيري من المتكلمين حين نتكلم لا يمكن أن يكون كلامنا في درجةٍ واحدة من البلاغة اللفظية ومن البلاغة المعنوية ، من البلاغة اللفظية هذا شيء طبيعي لا يوجد متكلم بليغ يتكلم بدرجة واحدة من جهة البلاغة اللفظية وإلاَّ لا يُعَدُّ بليغاً لأن الألفاظ والصيغ والعبارات تختلف الكلمات الكلام مع الأطفال غير الكلام مع الكبار ، الكلام مع المتعمقين في العلوم والمعارف ليس كالكلام مع المبتدئين وهكذا ، الألفاظ قطعاً تختلف لكل متكلم لكن المعاني لا يمكن أن تكون بلاغتي في الكلام وبلاغة أمثالي وكل الناس أن تكون بدرجة واحدة في الجهة المعنوية وذلك لقصور علمنا بمناسبة الحال ، نحنُ حتى حينما نتكلم في موضوع نتوقع بأننا نعرف ملابسات ذلك الموضوع المعرفة محدودة

، بالنسبة للمعصوم عليه السلام هو محيط بأسرار الحال لذلك المعصوم من الجهة المعنوية كلامهُ في أفق واحد من الجهة اللفظية يختلف لأن المعصوم عليه السلام حين يتكلم مع الصغير لا يستعمل الألفاظ نفس هذه الألفاظ مع الكبير وحين يتكلم مع أولئك العارفين بالأسرار لا يتكلم مع أولئك الذين يملكون معرفة سطحية بنفس الألفاظ لكنهُ حينما يتكلم مع المبتدئ فهو يعطيهِ المعنى المناسب لحالتهِ مئة في المئة وحينما يتكلم مع المنتهي يعطيه الكلام المناسب لحالتهِ مئة في المئة ، من الحِكَم المعروفة التي يقولها الحكماء يقولون ما كل ما يُعرف يُقال وهذا هو مصداق من مصاديق مناسبة الحال مصداق من مصاديق لكل مقامٍ مقال ، كيف يشرحون لكل مقامٍ مقال ؟ يقولون ما كل ما يُعرف يُقال ، إذاً هناك شيءٌ معروف وهناك شيءٌ يُقال من هذا الشيء المعروف ، ما كل ما يعرف يُقال وما كل ما يُقال حضرَ أهلهُ من الرجال وحتى هذا الذي يمكن أن يُقال فإنه لم يحضر أهلهُ من الرجال ، صحيح يمكن أن يُقال لكن المتلقي غير موجود المتلقي المناسب ، وما كلُّ ما حضر أهلهُ من الرجال قد ناسبَ الحال وحتى لو شخصنا ما يُقال وشخصنا الرجال الذين يمكن أن يُقال لهم هذا المقال لكن لربما ما ناسب الحال فهناك ملابسات أخرى ، ما كل ما يعرف يقال وما كل ما يقال قد حضرَ أهلهُ من الرجال وما كل ما حضر أهلهُ من الرجال قد ناسب الحال ، هناك كلمة جميلة قد تكون في هذا السياق هي متفرعة عن هذا السياق أحد الحكماء ينصحُ أبنه يقول له بني خُذ العلم من أفواه الرجال لأي شيءٍ ؟ قال : خُذ العلم من أفواه الرجال ، فقال : لِما ؟ قال : لأنَّ الرجال ، يعني بالرجال هنا يعني بهم أهل العلم في كل الاختصاصات ، خذ العلم من أفواه الرجال ، قال : وكيف ؟ ولِما ؟ قال : إنهم إذا ذهبوا إلى سوق الكتب فإنهم يشترون أحسن ما يجدون ، أحسن شيء يجدونه في سوق الكتب يشترونه من الكتب بحسب تصورهم وبحسب خبرتهم وبحسب تخصصهم فإنهم يشترون أحسن ما يجدون ثُمَّ ماذا ؟ وإنهم يقرءون أحسن ما يشترون ولو أشتروا مجموعة من الكتب فإنهم يركزون في القراءة على أحسن ما اشتروه ، فإنهم يقرءون أحسن ما يشترون وحينما يقرءون فإنهم يحفظونَ أحسن ما يقرءون ، أحسن ما يجدونهُ في قراءتهم يحفظونه وبعد ذلك ويذكرون ، إذا تحدثوا ، ويذكرون أحسن ما يحفظون وهو نفس الكلام ما كُلُّ ما يُعرف يُقال ، هذه صورة موجزة سريعة عن معنى مناسبة الحال وإلاَّ هذا الموضوع من الموضوعات الواسعة جداً في علم البلاغة لكن هذه صورة تقريبية لمعنى مناسبة الحال التي هي الركن المهم أو الأساس المهم في معنى البلاغة في كلام العرب وفي كلام غيرهم ولكننا نقول كلام العرب لأننا نتحدثُ عن كلام العرب هنا ، من مصاديق مناسبة الحال ونحنُ مُقبلون هذه الليلة ، هذه الليلة ليلةُ ميلاد إمامنا

أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه ، من جملة مصاديق مناسبة الحال الكلامُ إذا جاء مناسباً للحال ، ليكن معلوماً ليس المراد من مناسبة الحال أنه إذا كانت الأجواء مفرحة أن يكون الكلامُ مفرحاً أو إذا كانت الأجواء محزنة أن يكون الكلام محزناً أبداً وإنما المراد من مناسبة الحال أن يكون الكلام يؤدي المؤدى النافع ربما تكون الأجواء محزنة فيكون الكلام مفرحاً في جهةٍ من الجهات ويترك أثراً نافعاً وكذلك العكسُ بالعكس ، المراد من مناسبة الحال الكلام الذي يقعُ موقعهُ من النفوس ، هذا المراد من مناسبة الحال ، في ليلةٍ من الليالي مجموعة من الأتراك يداهمون بيت الإمام الهادي في سامراء ، كانَ الإمامُ في تلك الساعات يقرأ القرآن ، المتوكل العباسي أمرهم أن يجلبوه على الحال التي يجدونه عليها حتى ما تركوه يلبسُ ثياباً مناسبة كان يلبس ثياباً في داخل البيت ثياب المنزل ، فأخرجوه بالقوة والعنف وجلبوه إلى دار المتوكل ، الكلام هذا في منتصف الليل والمتوكل معروف كان يقضي لياليه إلى الصبح بالسُكر والمجونِ والفسوق ، جاءوا بالإمام والمتوكل بيدهِ كأسُ الخمر وقدمهُ للإمام والجواري والمغنيات والنُدماء حوله ، الإمام قال له : والله ما عاقرت بدني أبداً ، ما عاقرت أي ما امتزجت بدمي ولحمي ، قال له : إذاً غني لنا ، طلب من الإمام أن يغني فالإمام قال له هذا الأمر أنا لا أجيدهُ ، قال قل لنا شعراً ، قال وإني لقليل الرواية للشعر ، قال : لابُد أن تقول شعراً ، الإمام أنشدهُ :

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم .....

هذه من مناسبة الحال ، المجلس مجلس مجون وفسق وخمرة إلى غير ذلك ، في قصر المتوكل القصر الذي وفَّرَ لهُ ووفَّرَ فيه كل أسباب الرفاهية وكل أسباب الترف والبذخ ، الإمام هنا يردد هذه الأبيات في ذلك المجلس وقد انقلب الحال في المجلس ، المتوكل سقطت كأسُ الخمر من يدهِ والمجلس هيمن عليهِ الوجوم وبكى الناس في ذلك المجلس هكذا تقول الأخبار .

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غُلبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ

باتوا على قُلل الأجبالِ..... .....

الأجبال جمعٌ لجبل والجبل في لغة العرب يُرادُ منه الجبل المعروف هذا التضريس الأرضي المعروف الكتلة الأرضية المرتفعة ويُراد منه أيضاً البروج العالية الأماكن العالية القصور العالية الأماكن المحروسة ، باتوا على قُلل

القُلل جمعٌ لقُلّة والقُلة هي القمة المكان العالي ، يعني القلاع ، باتوا على قُلل الأجبال ، القصور العالية الأماكن الضخمة الأماكن المحروسة المحصنة .

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غُلبُ الرجال .....

غُلبُ الرجال ، الرجال الغُلْب هم الرجال الغالبون الرجال الأقوياء ، الرجال الذي لا يخسرون دائماً هم الذين يغلبون أصحابُ الغلبة ، أصحابُ الغلبة يعني أصحاب القهر أصحاب القوة والذين لهم القدرة في الفوز والمسارعة في تحصيل ما يريدون .

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غُلبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ

لِماذا ما أغنتهم القُلَلُ ؟ ولو كنتم في بروجٍ مشيدة ، المعنى مأخوذ من هذه الآية ، لابد أن يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة .

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غُلبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ

واستُنْزِلوا..... .....

واسْتُنْزِلوا من بعد عِزٍّ عن معاقلهم فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نزلوا

ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبِروا أينَ الأسرةُ والتيجانُ والحُلَلُ

الأسرة هي العروش التي كانوا يجلسون عليها أسرة الحكم أسرة الملك .

..... أينَ الأسرةُ والتيجانُ والحُلَلُ

الحلل جمع لحلة وهي الثياب الزاهية ثيابُ الملوك .

ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبِروا أينَ الأسرةُ والتيجانُ والحُلَلُ

أينَ الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكلل

الأستار هي الستائر وكانت قصور الملوك مشحونة بالستائر في كل جانب ، الأستار والكِلَلُ ، الكِلَل جمعٌ لكلة والكلة معروفة هو هذا الغطاء الذي يكون كالخيمة وكان الملوك يستعملونهُ حتى في مجالسهم ليس فقط عند

النوم كما هو شائع الآن للأطفال أو في الأماكن التي تكثر فيها الحشرات ، الكِلل كانوا يستعملونها حتى في مجالسهم ، في مجالسهم الخاصة ينصبون لهم الكلل.

أينَ الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكلل
فأفصح القبرُ عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وقد شربوا فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أُكِلوا

وهذه قضية تشمل المتوكل وتشملني وتشملك أيها المشاهد وتشمل كل إنسان ، كل من عليها فان ويبقى وجهُ ربك ، كل من عليها فان .

أينَ الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكلل
فأفصح القبرُ عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وقد شربوا فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أُكِلوا

وطالما عَمَّروا الدور

وطالما عمروا الدور والأهلون تسكـ ـنها وفارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما جمعوا الأموال وادخروا فخلفوها إلى الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلةً .....

القفر هي الأرض اليباب الأرض الخراب .

أضحت منازلهم قفراً معطلةً وساكنوها إلى الأجداثِ قد رحلوا

هذا المعنى الذي تحدثت عنه هذه الأبيات وهي تتحدثُ عن حالةٍ لابد للإنسان أن يمر فيها ، هذه الأبيات أوصلت معنىً للسامع ، توصل معنىً للسامع هذا المعنى يأتي متناغماً مع الطبيعة البشرية مع طبيعة الإنسان وهذا هو الذي قصدتهُ بمناسبة الحال ، هذه الأبيات وهذه الصورة التي جاءت مرسومة في هذه الأبيات التي أنشدها

إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه هذه تنقلنا إلى أجواء إلى أجواء النهاية التي ينتظرها الإنسان وتنتظر الإنسان والإنسان في غفلةٍ عنها .

أذهبُ إلى مقطعٍ جاء في دعاءِ أبي حمزة الثمالي المنقول عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه على نفس هذا النسق وعلى نفس هذا المضمون ولكن باتجاهٍ آخر ، في دعاءِ أبي حمزة ماذا يقول الداعي في مناجاتهِ مع ربِّ الأرباب ؟

أنا الصغير الذي ربيته وأنا الجاهلُ الذي علمته وأنا الضال الذي هديته وأنا الوضيعُ الذي رفعته وأنا الخائفُ الذي آمنته والجائع الذي أشبعته والعطشانُ الذي أرويته والعاري الذي كسوته والفقيرُ الذي أغنيته والضعيفُ الذي قويته والذليل الذي أعززته والسقيم الذي شفيته والسائلُ الذي أعطيته والمذنبُ الذي سترته والخاطئ الذي أقلته وأنا القليل الذي كثرته والمستضعفُ الذي نصرته وأنا الطريدُ الذي آويته أنا يا ربي الذي لم أستحيكَ في الخلاء ولم أراقبك في الملاء ــ في الملاء في المكان الذي يكثر فيه الناس والخلاء المكان الذي أنفرد فيه لوحدي ــ أنا يا ربي الذي لم أستحيكَ في الخلاء ولم أراقبك في الملاء أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الذي على سيدهِ اجترى أنا الذي عصيت جبار السماء وأنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشى ــ أبلغُ صورةٍ تعبيرية ــ أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشى ــ الرشى جمعٌ لرشوة ، يعني أنا الذي دفعتُ الأموال لأي شيءٍ حتى أصلَ إلى المعاصي ، يعني أنا دفعتُ الأموال وبذلتُ الجهد لأي شيءٍ ؟ حتى أصلَ إلى المعصية ــ أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشى أنا الذي حين بُشّرتُ بها ــ بُشِّرت بشارة وكأنها شيءٌ مُفرح ــ أنا الذي حين بُشّرتُ بها خرجتُ إليها أسعى أنا الذي أمهلتني فما ارعويتُ ــ فما ارعويت يعني فما امتنعت وما رجعت وما اتعظت ــ أنا الذي أمهلتني فما ارعويتُ وسترت عَلَيَّ فما استحييتُ وعملتُ بالمعاصي فتعديتُ واسقطتني من عينك فما باليتُ ــ وهذا أعمق المعاني وأعمق

الصور في هذه المقاطع وفي هذه العبائر من هذا الدعاء الشريف ــ واسقطتني من عينك فما باليتُ فبحلمكَ أمهلتني وبسترك سترتني حتى كأنك أغفلتني ومن عقوبات المعاصي جنبتني حتى كأنك استحييتني ، إلهي لـم أعصِكَ حين عصيتك وأنا برِبوبيتك جاحد ،، إلهي لـم أعصِكَ حين عصيتك وأنا برِبوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون لكن خطيئةٌ عَرَضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي وغرني سترك المرخى عَلَيّ فقد عصيتك وخالفتك بجهدي فالآن من عذابك من يستنقذني ومن أيدي الخصماء غداً من يخلصني وبحبل من أتصلُ إن أنت قطعت حبلك عني ــ من الصورة العميقة التي هي في غاية البلاغة ــ وغرَّني سترك المرخى عَلَيّ ــ كل هذه العبائر عبائر في غاية البلاغة وفي عمق المعنى جمعت بين المجاز وبين الكناية وبين الاستعارة وبين سائر ضروب البلاغة في الكلام وكلها تقعُ تحت هذا العنوان الذي تحدثتُ عنه قبل قليل وهو عنوان مناسبة الحال كما قلتُ بأن مناسبة الحال أنَّ الكلام يُوصلُ المعنى المراد إلى المتلقي في أكمل صورة وفي أتم وجه .

هناك أبياتٌ للسيد رضا الهندي من شعراء علمائنا رضوان الله تعالى عليه وهذا هو ديوانهُ ، قصيدتهُ البائية المعروفة التي يقول فيها :

أرى عمري..... .....
أرى عـمري مؤذناً بالذهـابِ .....
أرى عـمري مؤذناً بالذهـابِ تـمر لياليـهِ مـرَّ السحـابِ
وتـفجـئـني بيـضُ أيـامـــهِ فتسلخُ مني ســوادَ الشبابِ
فمن لـي إذا حان منـي الحِمـامُ ولـم استـطــع منه دفعاً لِما بي

الحِمام هو الموت

فمن لـي إذا حان منـي الحِمـامُ ولـم استـطــع منه دفعاً لِما بي

ومـن لـي إذا قلبتـني الأكـفُ وجـردنـي غـاسـلـي من ثيابـي
ومن لي إذا صرتُ فوق السرير .....

السرير هنا التابوت المراد منه

ومن لـي إذا صرتُ فوق السرير وشيـل سـريـري فـوق الرقـابِ
ومـن لـي إذا مـا هجـرتُ الديـار واعـتـضـت عنها بدار الخرابِ
ومـن لـي إذا آبَ أهـلُ الـــودادِ عـنـــي وقـد يـئسوا من إيـابِ

بعد أن يُدفن الإنسان.

ومـن لـي إذا آبَ أهـلُ الـــودادِ عـنـــي وقـد يـئسوا من إيـابِ
ومـن لـي إذا ما غـشاني الظلامُ وأمسـيـتُ في وحشةٍ واغترابِ
ومـن لـي إذا منـكـرٌ جـــدَّ فـي سـؤالـي فـأذهـلـنـي عـن جوابِ
ومـن لـي إذا درسـت رُمَّـتـــي وأبـلـى عـظـامي عـفـرُ التـرابِ
ومـن لـي إذا قـام يـوم الـنـشورِ وقـمـتُ بـلا حـجـةٍ للحسـابِ
ومـن لـي إذا نـاولـونـي الكـتـاب ولـم أدري مـاذا أرى في كتابِ
ومـن لـي إذا امتـازت الفرقتان أهل الـنـعـيـمِ وأهـل الـعـذابِ
وكـيـف يـعـاملـني ذو الـجـلالِ فـأعـرف كـيـف يكون انقلاب
أبـالـلـطفِ وهـو الغفور الرحيمُ أم الـعـدلِ وهـو شـديـد العقابِ
ويـا لـيـت شـعـري إذا سـامنـي بـذنـبـي وواخـذنـي بـاكـتسـابِ
فـهـل تـحـرق الـنـار عـيـناً بكت لـرزء الـقـتـيلِ بسيف الضبـابِ

يعني شمر ابن ذي الجوشن

فـهـل تـحـرق الـنـار عـيـناً بكت لـرزء الـقـتـيلِ بسيف الضبـابِ

وهل تحرق النار رجلاً مشت إلى حرمٍ منهُ سامي القبابِ
وهل تحرق النارُ قلباً أذيب بلوعة نيران ذاكَ المصابِ

على نفس هذا النسق ما جاء في المناجيات الخمسة عشر التي أشرت إليها في الحلقة الماضية وقلتُ هي من أجمل صور البلاغة في الكلام ، في مناجاة الخائفين ماذا يقول إمامنا السجاد ؟ على نفس هذا المعنى وبنفس هذا المضمون : **إلهي أترك بعد الإيمانِ بك تعذبني أم بعد حبي إياكَ تُبعدني أم مع رجائي لرحمتكَ وصفحك تحرمني أم مع استجارتي بعفوك تُسْلمني حاشا لوجهك الكريم أن تخيبني ليتَ شعري ، ليتَ شعري أللشقاء ولدتني أمي أم للعناء ربتني فليتها لم تلدني ولم ترهبني وليتني علمتُ أمن أهل السعادة جعلتني وبقربك وجوارك خصصتني فتقر بذلك عيني وتطمئن له نفسي ، إلهي ، إلهي هل تسود وجوهاً خرت ساجدةً لعظمتك أو تُخرِسُ ألسنةً نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك أو تطبع على قلوب انطوت على محبتك** _ من أحيكم أحب الله ، محبة الله محبتهم صلوات الله عليهم ، ومن أبغضكم فقد أبغض الله _ **إلهي هل تسود وجوهاً خرت ساجدةً لعظمتك أو تُخرِسُ ألسنةً نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك أو تطبع على قلوب انطوت على محبتك أو تُصِمُّ أسماعاً تلذذت بسماع ذكرك في إرداتك أو تغلُّ أكفّاً رفعتها الآمالُ إليكَ رجاء رأفتك أو تعاقبُ أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك** _ إلى آخر المناجاة ، أقف عند هذه العبارة : **أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك** _ ومن أفضل العباداتِ العبادات على أنحاء ومن أفضل العبادات خدمةُ الحسينِ صلوات الله وسلامه عليه ، أقول ذلك فنحنُ على أبواب أيام الحسين _ **أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك** _ هذه الأرجل التي تسعى إلى حرم الحسين والأرجل والأبدان والأيدي التي تسعى تكد وتتعب ويصيبها الألم ويصيبها التعب والنصب في خدمة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، هذه الأرجل والأيدي هي الأرجل الفالحة والأرجل الناجحة ، هذه الأرجل والأيدي التي تسعى لخدمة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه هي التي ستنجو وأصحابها هم الذين

سينجون يوم تجثو الأمم على رُكَبِها ، القرآن يرسم لنا صورة ، صورة رهيبة في يوم القيامة ، مع بلاغة القرآن الكريم ماذا يرسم لنا القرآن من صورة ؟ في سورة الفجر ، هذه اللقطة المهيبة والمرعبة المخيفة في سورة الفجر : كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ _ الروايات هكذا تحدثنا : بأن جهنم يؤتى بها تجرها ملائكة غلاظٌ شِداد بالسلاسل إلى ساحة المحشر وتكاد أن تنفلت من أيدي الملائكة وتنفلت باتجاه الخلائق ، الآيات الموجودة في سورة الجاثية ، لِماذا سميت سورة الجاثية ؟ سميت هذه السورة بالجاثية تتحدث عن جثو الأمم على ركبها في ذلك المشهد الرهيب ، في سورة الجاثية : وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً _ الروايات تقول : يجثو الناس والخلائق حتى الأنبياء على ركبهم إذا ما رأوا جهنم بهذه الحالة ، حتى الأنبياء ، في بعض رواياتنا ولو كان كل نبيٍ منهم قد جاء بعمل سبعين نبي ، هو نبي ، فإنهم يجثون على ركبهم إلاَّ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم _ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ _ ثم تقول الآية التي بعدها : هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ _ أنا لستُ بصدد تفسير الآيات لكن في رواياتنا الشريفة في الكافي الشريف وفي غير الكافي في تفسير علي ابن إبراهيم وفي غير تفسير علي ابن إبراهيم وروايات كثيرة موجودة عندنا عديدة الإمام الصادق الرواية عن أبي بصير يقول : إنَّ الكتابَ لم ينطق ولن ينطق _ مقصود من الكتاب هذا الكتاب المكتوب المدون _ وإنما الذي ينطقُ في ذلك اليوم الكتاب الناطق مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين _ الناطق هو هناك ، الناطق هو ، الروايات تحدثنا بانَّ الأنبياء يجثون على ركبهم وكلٌ يقول نفسي نفسي إلاَّ مُحَمَّد ، إلاَّ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله هو الذي يقول أُمَّتي أُمَّتي ، فحينما تنفلت جهنم في ذلك المشهد الرهيب وتجثو الأمم حين يؤتى بجهنم فتجثو الأمم على ركبها وكلٌ يظن بأنه لابد أن يردها لابد أن يواقعها ، حينما نذهب إلى سورة مريم : فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا _ حول جهنم في نفس المكان ، هذه الآيات كلها بعضها يكلم

البعض الآخر _ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً _ الآيات التي بعدها : وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا _ إمامنا الصادق عليه السلام حينما يسألوه وإن منكم إلا واردها لأن الكثير يتصورون أن كل إنسان يدخل إلى جهنم ، الإمام يقول حينما نقول وردنا أرض بني فلان ماء بني فلان ألا يعني أننا قد وصلنا إليه وشربنا منه لا يعني أننا دخلنا فيه _ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا _ هي هذه الصورة التي أشرتُ إليها التي تتحدث عنها سورة الفجر : وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي _ هو نفسُ هذا المضمون الذي تتحدث عنه هذه الآية : وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً _ ماذا تقول الآية ؟ _ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً _ هذا جثيٌّ ثاني في داخل جهنم _ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا _ الآية السابقة قالت : حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً _ نحنُ ماذا نقرأ في الزيارةِ الجامعة الكبيرة ، نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة ونقرأ في حديث الكساء الشريف ماذا يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ، فقال عليٌّ إذاً والله فزنا وسُعِدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسُعِدوا في الدنيا والآخرة ورب الكعبة .

أيامكم سعيدة عيدُ الغدير مُقبلٌ علينا وفي يوم غد ولادة إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه أسعد الله أيامكم ملتقانا في حلقة أخرى وأعود بالكلام إلى أخي وعزيزي أبو محمد .